خطورة المعصية

د . عصام بن عبد ربه محمد مشاحيت

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

مما لا ريب فيه أن للمعصية خطر جسيم يمتد أثره من الفرد على المجتمع، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «**إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأسه بأهل الأرض، وإن كان فيهم قومٌ صالحون، يصيبهم ما أصاب الناس ثم يرجعون إلى رحمة الله ومغفرته** ». ( صحيح الجامع : 680).

فالذنوب والمعاصي تضر، وضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها في الضرر، ولا يوجد في الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي، وتصفح أخي الحبيب وأنتي أختي المسلمة اللبيبة كتاب الله - عز وجل - وتدبرا ما حدث للأمم السابقة بسبب الذنوب والآثام.

**\*فبسببها خرج آدم وحواء من الجنة :**

قال تعالى : )**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ \* فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**( . البقرة : 35 ، 36 .

**\* وبسببها طرد إبليس ولُعن وبُدِّل بالجنة نارًا تلظّى:**

قال الله عز وجل : (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**) . البقرة : 34.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : " وهكذا لما أمر الله له الملائكة بالسجود، فدخل إبليس في خطابهم وكان قبل المعصية عبدًا صالحًا يتعبّد مع الملائكة، فلما أمر الله بالسجود لآدم فسجد الملائكة طاعة لله إلا إبليس, أبى واستكبر عدو الله أن يسجد لآدم – عليه السلام – حسدًا منه على ما أعطاه الله من الكرامة وقال : " أنا ناري، وهذا طيني، وكانت المعصية ابتداء ذنوبه وسببها الكِبْر، وقد ثبت في الصحيح : **« لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »** . أخرجه مسلم في صحيحه (91) .

وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرحمة وكان من الكافرين بسبب امتناعه أي صار من الكافرين..اهـ". ( تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير – نسيب الرفاعي 1/ 42 .

**\* وبسببها أُغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال :**

قال الله عز وجل :)**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَار )**. نوح : 25 .

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – " أي من إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم أُغرقوا فأُدخلوا نارًا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارًا، أي لم يكن لهم مجير من عذاب الله... اهـ " . (تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير 4/431 ).

**\* وبسببها سلَّط الله الريح على قوم عاد** حتى ماتوا عن آخرهم، وأرسل الصيحة على قوم ثمود حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم :

قال تعالى : )**الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ \* كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ \* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ \* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ \* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**(. الحاقة : 1: 7 .

\* وبسببها أرسل الله على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُلل فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظى :

قال الله – عز وجل - : (**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**( . الشعراء : 189 .

**\* وبسببها أغرق الله فرعون وقومه في البحر :**

قال الله عز وجل: (**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى \* فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**) . طه : 77: 78.

هذا هو الغرق الذي حاق بفرعون وقومه، فكما أنه تقدمهم فسلك بهم في البحر فأضلّهم وأغرقهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد، كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، فبئس الورد المورود. ( تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير – نسيب الرفاعي 3/145 ) .

**\* بسببها خسف الله بقارون وبداره وماله وأهله الأرض :**

قال تعالى : ( **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ** . القصص : 81 .

أضرار المعاصي:

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى : " من تأمل عواقب المعاصي رآها قبيحة، ولقد تفكّرت في أقوام أعرفهم يقرون بالزنا وغيره, فأرى من تعثُرهم في الدنيا مع جلادتهم ما لا يقف عند حدّ، وكأنهم قد أُلبسوا ظلمة، فالقلوب تنفر عنهم، فإن اتسع لهم شيء فأكثره من مال الغير، وإن ضاق بهم أمر أخذوا يتسخطون على القدر، هذا وقد شُغلوا بهذه الأوساخ عن ذكر الآخرة..."اهـ. ( صيد الخاطر – دار اليقين – ط 3 – 1419 هـ - ص: 194، 195. ) .

وقال رحمه الله تعالى : " ولقد رايت أقوامًا من المترفين كانوا يتقلبون في الظلم والمعاصي الباطنة والظاهرة، فتعبوا من حيث لم يحتسبوا، فقلعت أصولهم، ونُقِضَ ما بنوا من قواعد أحكموها لذراريهم، وما كان ذلك إلا أنهم أهملوا جانب الحق – عز وجل – وظنوا أن ما يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر، فمالت سفينة ظنونهم، فدخلها من ماء الكيد ما أغرقهم... " . ( صيد الخاطر : 204 ) .

فاحذروا اخوتاه عواقب المعاصي وأضرارها التي منها:

1- مزيلة للنعم، جالبة للنقم، مؤدية إلى الهلاك والدمار : لما ثبت عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « **يا معشر المهاجرين ! خمسُ خصال إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدّة المؤنة، وجور السلطان من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلّط الله عليهم عدوَّهم من غيرهم، فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**». ( صحيح الجامع : 7978) .

2- موجبة للذل والحرمان، جالبة للصد عن سبيل الرحمن، تفسد القلوب، وتورث الهوان، وتوجب اللعنة من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم، تزيل النعم، وتجلب النقم، وتلقي الرعب والخوف في القلوب، تُعمي البصيرة وتطبع عليها، وتسقط الكرامة وتوجب القطيعة، وتمحق البركة ما لم يتب العبد منها.

قال ابن المبارك – رحمه الله – مبيّنًا أضرار المعاصي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| رأيت الذنوب تميت القلوب | |  |
|  | وقد يُورثُ الذُّلَّ إدمانُها | |
| وترك الذنوب حياة القلوب | |  |
|  | وخيرٌ لنفسك عصيانُها | |

3- ومن أضرارها : حرمان العلم، حرمان الرزق، وحشة القلب، تعسير الأمور، وحشة يجدها بينه وبين الناس ظلمة في القلب، وهن في القلب والبدن، حرمان الطاعة، تمحق البركة، والمعصية تولد الأخرى، كثرة المعاصي تجعلها عادة، سببٌ لهوان العبد على ربه، تورث الذل، تذهب الحياء، تفسد العقل فإن للعقل نورًا والمعصية تطفئه، حرمان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إن تكاثرت طبع على قلب صاحبها وكان من الغافلين، إنها تزيل النعم وتحلّ النقم، تضعف في القلب تعظيم الربّ، تصرف القلب عن استقامته... اهـ . ( الداء والدواء لابن القيم ، ص: 48: 75 بتصرف يسير ) .

بالتفكر فيما سبق من أضرار المعاصي نلاحظ أن لبعضها أضرارًا حسيّة، ولبعضها أضرارًا معنوية، كما أن بعضها دنيوي، وبعضها أخروي.

فاحذروا – اخوتاه – عقوبات المعاصي في الدنيا والآخرة، وبادروا بالتوبة قبل الموت

د. عصام بن عبد ربه محمد مشاحيت

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية